أهلاً برسول الرجاء

بعد البابا الراحل يوحنّا بولس الثاني، الكبير والاستثنائي والتاريخي بكل المقاييس، والإرشاد الرسولي الذي اودعنا اياه "رجاء جديدا للبنان"، في احلك ظروف التقهقر والاحباط والانزواء، ها هو خليفته البابا بنديكتوس السادس عشر يطلّ من لبنان ليعلن إرشاداً رسوليا لمسيحيّ الشرق الأوسط، فيما الشرق العربي برمته من المغرب الى اليمن مرورا بسوريا ومصر وتونس وليبيا وغيرها، يشهد حراكا سياسيا مجتمعيا ثقافيا لم يعرف مثيلا له منذ قرون، هو "الربيع العربي" بمخاضه المؤلم وآفاقه الواعدة.

د. أنطوان حداد

حركة التجدد الديموقراطي

ولعل هذا السياق التاريخي الإستثنائي للزيارة وللاعلان معا هو الذي حدا بقداسة البابا الى اعتماد مقاربة "مسكونية" لافتة في التعامل مع هذا الحدث تأكيداً على الشراكة في المسؤولية، إذ انه سيسلم الإرشاد الى رؤساء الكنائس الشرقية كلها من دون استثناء، وليس الكاثوليكية منها فحسب. وكان ممثلون عن الكنائس الارثوذكسية الشرقية والأرثوذكسية والإنجيلية، وممثلون للمرجعيات الدينية الاسلامية، شاركوا في حضور اعمال السينودس الذي أعدّ الإرشاد.

التحدي اذاً، والرجاء، ان تسهم الزيارة ومعها الارشاد الرسولي الجديد في بلورة الادوار والوظائف المنتظرة من مسيحيي المشرق، جميعهم، في مواكبة هذه التحولات الكبرى، كي تأتي مصداقا لرسالة المسيحية عموما وامتدادا للادوار النوعية التي اداها اجدادنا في نهضة المنطقة وعمرانها المادي والثقافي في كل الحقبات والمحطات المنيرة للمشرق العربي.

أهمية هذه الزيارة كما الإرشاد الرسولي لمسيحيي الشرق الاوسط، يتبدّيان في وعي أن ما نعيشه اليوم من مخاض يجب ان يشكل رجاء متجددا بكل ما في الكلمة من معنى، ليس للمسيحيين فحسب، بل ولكل مكونات نسيج المجتمع العربي. ويأتي وعي هذا الربيع برجائه من خلال قناعة بأن انتفاضات الشعوب العربية، والتي استُهلت من لبنان عام ٢٠٠٥، مثّلت استعادة ريادية لمفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية، وبالتالي إن البوصلة الأساسية في هذه الاستعادة يبقى هدفها الأساس كرامة الإنسان. وهل أسمى، مسيحيا، من هذا الهدف؟

أما ما يجب التركيز عليه في ضوء ما سبق، وما قد يترتّب عن هذه الزيارة، فهو دعوة المسيحيين الى تجاوز حال الذعر المفتعل على مصيرهم، والتي يصرّ البعض، ولغايات سياسية بحتة في نفس يعقوب، على تسويقها، تارة في الاصرار الممجوج على استهدافهم المباشر لتهجيرهم، وطوراً بدفعهم الى استدعاء إما حماية داخلية من ديكتاتوريات بائدة سقطت ورقة التين عن عوراتها أو بخلق تحالف مزعوم بين أقليات "خائفة ومخيفة"، وإما حماية خارجية بأجندات مشبوهة تُخرج المسيحيين من أصالتهم. وفي الاستدعاءين منطق انتحاري للرسالة التي حملها المسيحيون من هذا الشرق الى العالم أجمع على مدى أكثر من ألفي عام.

بطبيعة الحال، ثمة معوّقات وتحدّيات قد تدفع ليس فقط بالمسيحيين الى ترك أرضهم، بل المسلمين أيضا والعلمانيين، وهنا يتشارك هؤلاء جميعاً في خطر تنامي ظاهرة التطرّف، فالمستهدف في هذه المرحلة، بل في كل المراحل، يبقى الاعتدال والديمقراطية الليبيرالية.

ففي الاعتدال يُزخّم الحوار وتُحمى التمايزات وتصان التعددية وتُشق مساحات القيم الإنسانية المشتركة. وفي الليبيرالية تصان الحريات، الشخصية والسياسية والاقتصادية، وتُمتّن عناصر العدالة الاجتماعية في نقطة وسط بين تفلت رأسمالي وقبضة إشتراكية. وفي الاعتدال والديمقراطية والليبيرالية معا يمسي الإنسان قيمة أولى، والمجتمع موئل إبداع، والدولة راعيةً للمواطن. وفي الاعتدال والليبيرالية تحيا الأديان روح إنسان يفهم كل آخر مساويا له في الإنسانية وفي المواطنة، وتكتسب الدولة شرعيّتها من هويتها المدنية الضامنة للحريات الفردية والجماعية على حد سواء، وحيث تستقي مصادر التشريع قيمتها من قدرتها على احترام كرامة الإنسان وحقوقه الاساسية، وهما الجوهر الحقيقي لكل الاديان.

> **ما نعيشه اليوم من مخاض يجب ان يشكل رجاء متجددا ليس للمسيحيين فحسب، بل لكل مكونات نسيج المجتمع العربي**

نعم المسيحيون أمام تحديات، والمسلمون أيضاً أمام تحديات، والعلمانيون المدنيون اللامتديّنون من اهل الاعتدال هم أيضاً أمام تحديات في هذا الشرق، لكن لا مكان لنا، نحن اهل الرّجاء، في سياقات الخوف والتخويف والانكفاء والاستقالة. المواطنة والدولة المدنية هما التحديان الأساسيّان لنا في هذه المرحلة التاريخية، فأهلاً بقداستكم تحملون لنا دفعاً نحقق فيه ربيع رجاءٍ متجدّد من أرض مهد المسيح.